الرسالة

(غلاطية ١: ١١–١٩)

يا إخوةُ أُعلِمكم أنَّ الإنجيلَ الذي بشَّرتُ به ليس بحسبِ الإنسانِ* لأنّي لم أتسلَّمْهُ وأتعلَّمه من إنسانٍ بل بإعلانِ يسوع المسيح* فإنَّكم قد سمعتُم بسيرتي قديماً في مِلَّةِ اليهود أنّي كنت أضطهدُ كنيسةَ اللهِ بإفراطٍ وأدمِّرها* وأزيدُ تقدُّماً في مِلَّةِ اليهودِ على كثيرينَ من أترابي في جِنسي بكوني أوفر منهم غَيرةً على تقليداتِ آبائي* فلمَّا ارتضى اللهُ الذي أفرزني من جوفِ أمّي ودعاني بنعمته* أن يُعلن ابنه في لأُبشِّرَ بيَن الأمم لساعتي لم أُصغِ إلى لحمٍ ودمٍ* ولا صعِدتُ إلى أورشليمَ إلى الرسلِ الذينَ قبلي بل انطلقتُ إلى ديارِ العربِ وبعد ذلك رجَعتُ إلى دِمشق* ثمَّ إنّي بعد ثلاثِ سنين صعِدتُ إلى أورشليمَ لأزورَ بطرسَ فأقمتُ عنده خمسةَ عشرَ يوماً* ولم أرَ غيره من الرسلِ سوى يعقوبَ أخي الرب.

رسالة القدّيس يعقوب

تعيّد كنيستنا المقدّسة للقدّيس يعقوب أخي الربّ في الثالث والعشرين من شهر تشرين الأوّل، وهو أحد الأعمدة الثلاثة الذين يذكرهم الرسول بولس في رسالته إلى أهل غلاطية، بطرس ويعقوب ويوحنّا (غل٢: ٩). القديس يعقوب هو أوّل أسقف على كنيسة أورشليم. ورسالته هي الأولى في ترتيبها بين الرسائل المسمّاة «الجامعة» في العهد الجديد.

العدد ٤٣/ ٢٠١٦

الأحد ٢٣ تشرين الأول

تذكار الرسول يعقوب أخي الرب

اللحن الأول

إنجيل السَحَر السابع

ينطلق القدّيس يعقوب في رسالته من موضوع «الحكمة» التي تنزل «من فوق» (١: ١٧؛ ٣: ١٥، ١٧)، التي على المسيحيّ أن يطلبها من الله بإيمان «غير مرتاب البتّة»، والله «يعطي الجميع بسخاء» (١: ٥–٦)، وهي التي تضع المؤمنين على طريق العيش بحسب وصايا الله المعلنة في الناموس. الحكمة التي «من فوق» هي هبة الله التي تجدّد الإنسان وتؤهّله أن يُظهر إيمانَه من خلال الأعمال، فيتبرّر أمام الله كما تبرّر إبراهيم وراحاب الزانية (٢: ١٤–٢٥)، وتجعله إنسانًا كاملاً (١: ٢–٤؛ ٣: ٢، ١٣–١٨).

بالنسبة للقدّيس يعقوب، لا يمكن للإنسان الذي يبغي الكمال أن يكون «ذا رأيين» (١: ٨؛ ٤: ٨). إنّ الإنفصام الداخليّ في الإنسان يظهر من خلال الريبة (١: ٦)، وعدم الإنسجام بين ما يقوله وبين ما يفعله (١: ٢٢–٢٧)، وإساءة استعمال اللسان (٣: ٣–١٢)، ومحبّة العالم (٤: ٤)، والمحاباة (٢: ١–١٣)، والحروب والخصومات (٤: ١). هذا كلّه يحصل نتيجة انجذاب الإنسان نحو شهوته، التي تقود إلى الخطيئة، والخطيئة إلى الموت (١: ١٤–١٥).

الخصومات الخارجيّة هي نتيجة الخصومات الداخليّة. من هنا فإنّ بعض أعضاء الكنيسة التي يوجّه إليها القدّيس يعقوب رسالته كانوا يسعون إلى مراكز دنيويّة في مجتمعهم، وهم لا يراعون إخوتهم المسيحيّين الآخرين. تصرّفهم هذا لا ينتج عن الحكمة التي «من فوق»، إنما عن حكمة «أرضيّة نفسانيّة شيطانيّة» (٣: ١٥).

الإنسان المسيحيّ يتخطّى الإنفصام الداخليّ بواسطة الإيمان، الذي على أساسه يطلب الحكمة التي هي عطيّة الله. كلاهما، أي الإيمان والحكمة، يتجلّيان بأفعال الإنسان التي هي

نتيجة تطبيقه «للناموس الملوكي»: «تحبّ قريبك كنفسك» (٢: ٨)، الذي هو أيضًا «ناموس الحريّة» (١: ٢٥) الذي سيُحاكَم الإنسان بناء عليه (٢: ١٢). لذلك فإن غاية الإنسان بالوصول إلى الكمال تتحقّق بارتباط إيمانه بأفعاله وفق الحكمة المعطاة له من الله.

من السهل أن ندرك ما وصل إليه بعض أعضاء تلك الكنيسة، لأنّ هذا عينه يحدث في كلّ كنيسة، حتّى أيّامنا الحاليّة. هذا ما واجهه الرسول بولس مثلًا مع أهل كورنثوس، وهذا ما نواجهه اليوم. فإنّ الإنسان «المؤمن» معرّض للوقوع في التجربة، فيعتبر أنّه مُخلَّص بسبب إيمانه الصحيح، إذ إنّه يحافظ على هذا الإيمان من خلال الدفاع عنه تجاه الهراطقة، وهو يواظب على الصلوات والأصوام، وبذلك أصبح إنسانًا «روحيًّا» يحيا حياةً روحيّة لا تشوبها شائبة. ويدعم موقفه هذا بآيات من الكتاب المقدّس مثل قول الرسول بولس «لأنّكم بالنعمة مخلَّصون بالإيمان» (أف٢: ٨)، وقوله «صلّوا بلا انقطاع» (١تسا٥: ١٧) وغيرها. وقد يصل به الأمر إلى اعتبار أنّ كلّ من لا يؤمن هذا الإيمان الصحيح لا يمكن أن يخلص.

غير أنّ الله، في الكتاب المقدّس، لم يعلّمنا هكذا. الإيمان بالله مرتبط مباشرة بالمحبّة. الله نفسه هو محبّة. والمحبّة ليست هي محبّتنا لله، بل هي محبّة الله لنا التي علينا أن نقتفي أثرها: «هكذا أحبّ الله العالم حتّى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كلّ من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبديّة» (يو٣: ١٦)، «نحن نحبّه لأنّه أحبّنا أوّلاً. إن قال أحد إنّي أحبّ الله وأبغض أخاه فهو كاذب، لأنّ من لا يحبّ أخاه الذي أبصره كيف يقدر أن يحبّ الله الذي لم يبصره. ولنا هذه الوصيّة منه أنّ من يحبّ الله يحبّ أخاه أيضًا» (١يو٤: ١٩–٢١). والذي يحب الله يحفظ وصاياه: «إن أحبّني أحد يحفظ كلامي ويحبّه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً» (يو١٤: ٢٣).

هذا التعليم عينه ينقله إلينا القدّيس يعقوب في رسالته. فالإيمان بالله إن لم يقترن بعمل المحبّة لا يمكن أنّ يخلّص الإنسان (يع٢: ١٤). وعمل المحبّة هذا يتعلّق «بالناموس الملوكي»: «تحبّ قريبك كنفسك» (٢: ٨). غير أنّ «المؤمنين» الذين يوجّه إليهم رسالته يخالفون هذا الناموس ويعرّضون أنفسهم للدينونة (٢: ٩). فإنّهم يحابون الوجوه، أي إنّهم يوقّرون الأغنياء الذين يتسلّطون عليهم ويهتمّون بهم، ويهينون الفقراء الذين أعدّ لهم الله الملكوت (٢: ١–٦). وهم يباركون الله من جهة ويلعنون الناس الذين تكوّنوا على شبه الله من جهة أخرى (٣: ٩). كما أنّهم يتخاصمون ويحسدون بعضهم بعضًا (٤: ١–٢)، ويذمّون بعضهم بعضًا ويدينون الآخرين (٤: ١١). إضافة إلى أنّهم لا يساعدون المحتاجين الذين يطلبون المعونة (٢: ١٥–١٦). إيمانهم هذا إذًا غير كافٍ للخلاص، لأنّ «الشياطين يؤمنون ويقشعرّون» (٢: ١٩)، لكنّ الشياطين لا يخلصون لأنّهم لا يحبّون. هنا يعطي القدّيس يعقوب مثلًا صاعقًا لنا نحن «المؤمنين» عندما يذكر راحاب، المرأة الوثنيّة «الزانية»، ويعتبر أنّها تبرّرت بعمل الرحمة الذي عملته مع الرسل الذين جاؤوا إلى أريحا للتجسّس وأخرجتهم من طريق آخر (٢: ٢٥؛ يشوع٢): «لأنّ الحكم هو بلا رحمة لمن لا يعمل رحمةً والرحمة تفتخر على الحكم» (٢: ١٣): «ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد إنّ له إيمانًا ولكن ليس له أعمال. هل يقدر الإيمان أن يخلّصه؟ إن كان أخ أو أخت عريانَين ومعتازَين للقوت اليوميّ، فقال لهما أحدكم امضيا

الإنجيل

(لوقا ٨: ٢٧–٣٩)

في ذلك الزمان أتى يسوعُ إلى كورةِ الجُرجسيينَ فاستقبلهُ رجلٌ من المدينة به شياطينُ منذ زمانٍ طويلٍ ولم يكن يلبَسُ ثوباً ولا يأوي إلى بيتٍ بل إلى القبور* فلمَّا رأى يسوعَ صاح وخرَّ له وقال بصوتٍ عظيم ما لي ولك يا يسوعُ ابنُ اللهِ العليّ. أطلبُ إليك ألاَّ تُعذِّبَني* فإنَّه أمرَ الروحَ النجسَ أن يخرجَ من الإنسان لأنَّه كان قد اختطفه منذ زمانٍ طويلٍ وكان يُربَط بسلاسلَ ويُحبَسُ بقيودٍ فيقطعُ الرُّبُطَ ويُساقُ من الشيطان إلى البراري* فسأله يسوعُ قائلًا ما اسمُك. فقال لَجيونُ لأنَّ شياطينَ كثيرين كانوا قد دخلوا فيه* وطلبوا إليهِ أن لا يأمرهم بالذهاب إلى الهاوية* وكان هناك قطيعُ خنازير كثيرةٍ ترعى في الجبل* فطلبوا إليه أن يأذنَ لهم بالدخولِ فيها فأذِن لهم* فخرج الشياطينُ من الإنسانِ ودخلوا في الخنازير فوثبَ القطيعُ عن الجرفِ إلى البحيرةِ فاختنقَ* فلمَّا رأى الرعاةُ ما حدث هربوا فأخبروا في المدينة وفي

الحقول* فخرجوا ليرَوا ما حدث وأتوا إلى يسوعَ فوجدوا الإنسانَ الذي خرجتْ منه الشياطين جالساً عند قَدَمَي يسوعَ لابساً صحيحَ العقل فخافوا* وأخبرهم الناظِرون أيضاً كيف أُبرِئَ المجنونُ* فسأله جميعُ جمهورِ كورةِ الجرجسيين أن ينصرِف عنهم لأنَّه اعتراهم خوفٌ عظيم. فدخل السفينةَ ورجع* فسأله الرجلُ الذي خرجت منه الشياطين أن يكون معه. فصرفه يسوعُ قائلاً إرجعْ إلى بيتك وحدِّثْ بما صنع اللهُ إليك. فذهب وهو ينادي في المدينة كلِّها بما صنع إليه يسوع.

تأمل

«ولا صعدتُ إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي بل انطلقت إلى ديار العرب وبعد ذلك رجعت إلى دمشق» (غلا ١: ١٧).

إن أخذنا هذه الكلمات بمعناها الحرفي، رأينا فيها كثيراً من التبجّح البعيد عن الفكر الرسولي. فلنحاول أن نبيّن سبب كلام بولس الرسول حتى، عندما نفهمه ونوافق كلامه، نعجب ونتهلّل به. لقد قال بولس كلّ هذا وهاجسه أن يحرص على حقيقة الإنجيل. يحاول الرسول أن يصدّ موقف اليهود الضال دون أن يقلّل بسلام استدفئا واشبعا ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد فما المنفعة؟ هكذا الإيمان أيضًا إن لم يكن له أعمال ميتٌ في ذاته. لكن يقول قائل أنت لك إيمان وأنا لي أعمال. أرني إيمانك بدون أعمالك وأنا أريك بأعمالي إيماني. أنت تؤمن أنّ الله واحدٌ. حسنًا تفعل. والشياطين يؤمنون ويقشعرّون. ولكن هل تريد أن تعلم أيّها الإنسان الباطل أنّ الإيمان بدون أعمال ميت»، «لأنّه كما أنّ الجسد بدون روح ميتٌ هكذا الإيمان أيضًا بدون أعمالٍ ميتٌ» (٢: ١٤–٢٠، ٢٦).

أتعرّف إلى الرّب يسوع

يكشف لنا الربّ يسوع ذاته قائلاً «أنا هو نور العالم» (يو ٨: ١٢)، وفي موضع آخر، يُخاطب تلاميذه قائلاً لهم «أنتم نور العالم» (مت ٥: ١٤). ما قد يبدو تناقضًا في كلام الربّ يسوع يشكّل جوهر حياتنا المسيحيّة... لنأخذ مثال الشمس والقمر؛ القمر لا يضيء من تلقاء ذاته بل يعكس نور الشمس الذي يتلقّاه. هكذا دعوتنا نحن المسيحيّين أن نكون أقمارًا تعكس نور شمس العدل، الربّ يسوع المسيح. هنا يقتضي أن يسأل كلّ منّا نفسه، ما الذي ينبغي عليّ فعله حتّى أستمدّ نور المسيح فأضيءَ للآخرين؟ الجواب وبكلمات بسيطة: أن أتعرّف إلى الرّب يسوع. جميعنا يدّعي معرفته بالرّب يسوع، لكن هل تعرّفنا عليه كفايةً حتى نشهد له كلّ يوم بالقول والعمل؟ لنتفكّر قليلًا: لا يُذيع الخبر بحق إلّا من عاش الحدث، لا يخبر عنّ مزايا شخص إلا من كان صديقًا حقًا، ولا يعمل بشوق و يضحّي إلاّ من أحبّ حقًا. في ما يلي أربعة إرشادات يقتضي أن يتبّعها كلّ مسيحيّ حتى يستحقّ نقل بشارة الخلاص للجميع.

أوّلًا، أتعرّف إلى الرّب يسوع عبر قراءة الإنجيل المقدّس الذي فيه يتجلّى لنا الرّب يسوع عبر تعاليمه وأعماله؛ قبل البدء في القراءة نقول مع النبيّ صموئيل «تكلّم يا ربّ فإنّ عبدك يسمع» (١ صم ٣: ١٠) فيجيبنا ربّنا يسوع كما خاطب الأعمى قديمًا «قد رأيته، والذي يتكلّم معك هو هو» (يو ٩: ٣٧). لا تكن قراءتنا للإنجيل قراءة سطحيّة لسيرة بطل تاريخي سكن الأرض منذ ألفي عام، أسر العالم بتعاليم جميلة وصنع معجزاتٍ كثيرة بل قراءة ناضجة تعي أنّ الكلام الذي يكلّمنا به الرب يسوع هو روحٌ وحياة (يو ٦: ٦٣). إن الطبيعة البشريّة هي نفسها اليوم ومنذ ألفي عام، والربّ يخاطبنا الآن كما خاطب آباءنا وأجدادنا قبلًا، فلنتأمّل كلمات الإنجيل بفهم حتّى تُحدث تغييرًا في قلوبنا وفي حياتنا لأنه «هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي. لا ترجع إليّ فارغةً، بل تعمل ما سُررت به وتنجح في ما أرسلتها له» (إش ٥٥: ١١). عندها نستحقّ أن نُدعى حقًا تلاميذ وأحبّاء للربّ يسوع، «إنّكم إن ثبتّم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي» (يو ٨: ٣١) وأيضًا، «إن أحبّني أحدٌ يحفظ كلامي» (يو ١٤: ٢٣).

ثانيًا، أتعرّف إلى الربّ يسوع عبر الصلاة؛ الصلاة هي في جوهرها حوار وشركة مع الله وتعبيٌر عن محبّتنا له ورغبتنا في مخاطبته ومعرفته أكثر فأكثر. فلنصلّ إذًا لا في الكنيسة فقط بل أينما ذهبنا ومهما فعلنا، عند شعورنا بخطيئتنا وفي الضيقات، عند شكرنا لله في أفراحنا وفي أحزاننا... فلنلجأ إلى تلاوة الصلوات التي صاغها الآباء القدّيسون بنعمة الروح القدس أو إلى المزامير والتراتيل لا بصورة ميكانيكيّة بل بفهمٍ وتأمّل،

متذكّرين على الدوام أنّه في الصلاة يجب أن يشترك القلب بكليّته. أو فلنلجأ إلى الصلوات العفويّة شرط أن تكون نابعة من القلب؛ في هذا الإطار، يقول الشيخ أفرام الكاتوناكي (+١٩٩٨) أن الصلاة العفويّة لها قوّة كبيرة لأنك تقولها وتفهم أنّها تخرج من أعماق نفسك. لا تُبنى صداقة متينة نتيجة لقاء وحيد بل تأتي ثمرة لقاءات وخبرات مشتركة حقيقيّة؛ من هنا دعوة الرسول بولس لنا «صلّوا بلا انقطاع» (١ تس ٥: ١٧). ويضيف قدّيسنا المعاصر بايسيوس الآثوسي (+١٩٩٤)، «لا نضجرنّ من الصلاة، فالمسيح يودّ التحدّث إلينا في كلّ حين ومهما تكلّم الواحد معه لا يشبع أبدًا».

ثالثًا، أتعرّف إلى الرّب يسوع عبر تعرّفي إلى محيطه ومعشره. لنتأمّل قول الرسول بولس «أنتم لستم غرباء، بل مواطنو القدّيسين وأهل بيت الله» (أف ٢: ١٩) ولنتذكّر أيضًا مثلنا الشعبي «قل لي من تُعاشر أقل لك من أنت»... لا نجد في كنائسنا أيقونات للربّ يسوع فقط، بل أيضًا أيقونات لوالدة الإله والقدّيسين لأنّهم استحقّوا أن يُدعَوا أصدقاء للربّ يسوع وأهل بيته إذ أحبّوه حتّى أمسوا أناجيل حيّة؛ كلّ سعي منّا للتعرّف إلى قدّيس هو تعبيرٌ عن رغبتنا في الاقتداء بسيرته التي باتت شهادة للربّ يسوع. إلى ذلك، ألسنا جميعنا على صورة الله ومثاله؟ بالتالي، فإن كلّ لقاء وخبرة حياتيّة أعيشها مع الآخر هي فرصة استثنائيّة لمعرفة الله وتمجيده على عطاياه التي يسكبها علينا في كلّ حين، الربّ نفسه قال في الإنجيل الذي نتلوه في أحد الدينونة «الحق أقول لكم: بما أنّكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الصغار، فبي قد فعلتم» (مت ٢٥: ٣٩).

رابعًا، أتعرّف إلى الرّب يسوع عبر مشاركتي في الصلوات وبالأخص القدّاس الإلهي الذي فيه نتذكّر ونعيش الأحداث الخلاصيّة وصولاً إلى تناولنا جسد الربّ ودمه. هنا يبرز معتقدنا الشعبي أنّ لا صداقة وأخوّة تنشأ بين شخصَين إلّا حين «يصير بينها خبزٌ وملحٌ». أمّا المفارقة ففي دعوتنا إلى مائدة الملكوت – أي القدّاس الإلهي – يشاء الربّ يسوع أن يقدّم ذاته لنا، إذ إنّه أحبّنا حتّى بذل نفسه على الصليب لأجلنا. «ليس حبّ أعظم من هذا: أن يبذل أحدٌ نفسه لأجل أحبّائه» (يو ١٥: ١٣)، وها هو ربّنا يسوع، يظهر عظم محبّته لنا في كلّ قدّاس حتّى إذا تناولناه بإيمان وشوقٍ يثبت فينا ونحن فيه.

عيد القديس ديمتريوس

بمناسبة عيد القديس ديمتريوس يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الثلاثاء ٢٥ تشرين الأول وخدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الأربعاء ٢٦ تشرين الأول في كنيسة القديس ديمتريوس في الأشرفية.

وبعد صلاة الغروب سوف يتم افتتاح مركز القديس بورفيريوس (SPC) الذي يهدف إلى استقبال كل أنواع الأنشطة الجماعية من خلوات روحية ومؤتمرات وندوات ودورات ولقاءات دينية، كما أنّه يتّسع لحولي ٧٥ شخصاً (مع منامة).

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

من شأن الرسل. يقول «لم أستشر الناس» قاصداً الرسل، لأن الذي تسلّم الكلمة من الله كيف يعود ويستشير الإنسان؟... الذي يتعلّم من الله لا يعود بحاجة إلى التعلّم من البشر بل إلى تعليمهم.

الجدير بالذكر أن بولس لم يتأخر، في الوقت المناسب، عن الصعود إلى أورشليم لاستشارة الرسل عندما انعقد المجمع في أورشليم، حين ذهب هو وسيلا لكي يناقشا إذا ما كان المسيحيون ملزمين بالختان.

لاحظ تواضع بولس بعد قوله «انطلقت إلى بلاد العرب»، يضيف «ثم رجعت أيضاً إلى دمشق». لم يذكر منجزاته، بل ذكر الذين علّمهم، هذا بالرغم من الاضطراب الذي سبّبه لليهود الذين سمعوا عن تحوّله ومعموديّته.

لم يذكر شيئاً هنا عن منجزاته. لم يكن هدفه إظهار نفسه الأعظم في الرسل. كان حريصاً على حقيقة الكرازة، وكان يسمّي نفسه سِقْطاً، وأول الخطأة، وآخر الرسل، وغير مستحق أن يُدعى رسولاً، رغم أنه هو الذي تعب أكثر من الكل: هذه هي علامة تواضعه الكبير...

القديس يوحنا الذهبي الفم